

يوسف حسن حجازي

صوت العدم

نص شعري

يوسف حسن حجازي

الصمتُ.. قوةٌ تجلَّت من العدم

صوت العدم

لا شيء يُفني نفسه دون ألم

صوتُ العدمْ

ليس عدمْ

يرتد في النفس صدًى

نعمْ نعمْ

تحت الثرى مليون رَمْ

هل يا تُرى همس يطنْ

لكنما صوت العدم

يرتد في النفس صدى

نعمْ نعمْ

هذا الدم المغلي في أرض الوطن

نزف الغمام حمرة الزرع نسيم البحر مَرجان الخليج عتمة الليل تئن

وزرقة العينين سقف الأرض وهم باطل

والثورة العنقاء تخفي نفسها تحت رماد البائسين

هل من دخان يدخل البشرى على قلب الجماد

فالبرتقال لم يزل في مهده ذاك الحزين

هل من معاد

ميعاد ميلاد جديد

أوديس لم يرجع وبنلوب الحبيسة لم تلوث عزها

من حولها العشاق سكرى يطلبون عرشها

هم يشربون النخب نخب حتفهم

هل يدركون

لا تضعفي فالدرب نحو النور شوك تحت أقدام الحفاةْ

هل يصبرون

واللوتس الملعون أجرى سُمَّهُ

ما عاد زهر الأرض يدري أمه

هل من معاد

ميلاد أوديسٍ جديد

نيرون يذكي أرضه

من يخمد النيران في أرض اليباب

سرجون يعلي نخبه

سرجون يحكي نصره

من يفتدي أوروك فالسور العظيم لم يعد

سرجون صال ولم يجد من ينتفض

سرجون قام لم يقم جلجامشُ الصلب العنيد

إن الخلود صنع مجد لا يزول

فاترك نبشتًا خالدا بنبته

ذاك الخلود فانطلق جلجامش نحو الخلود

صمت القبور ليس صمتا صادقا

صمت رهيب من خيالات العدم

يرتد في النفس صدى

نعم نعم

تيتون يمضي وحده

تحث أورورا خطاها دائبة

وحيدة حزينة حاضرة وغائبة

حائرة سائلة

جميع أعضاء الأُلمب

جميع أجرام الفلك

وكل أبناء الحياة

تيتون أينْ

إني أضيع إنني لا أستطيع

قلبي وعقلي خائفان

برد شديد مهلك

وفي فؤادي ألف نار

تيتون أينْ

إني أضيع إنني لا أستطيع

هناك صمت مطبق

ولا جواب

يرتد في النفس صدى

ألف ألمْ

والنار سر سرمديْ

زيوس يخفي أمرهُ

كي لا يرى الإنسانُ في الليل أحدْ

لو أبصرَ الإنسانُ ضلَّ قلبُهُ

كي يجهل الإنسانُ دربَ شرِّهِ

فيجهل الطغيانَ والنكرانَ والتمردَ الوحشيَّ ضدَّ نفسِه

فلا يكون قاتلًا كلَّ الزهورِ ساحقًا أصلَ البذورِ مفنيًا لجنسِهِ

مدعيًا رغمَ الشرورِ رفعةً طهارةً حضارةً وحقَّه في كلِّ شيءْ

وأنهُ ابنُ الإلهِ أنهُ هُو الإلهْ

فابقَ بُرُوْمِثْيُوْسُ في الأصفاد منفيًا على صخرِ العذابْ

ماذا فعلْتْ؟!

أما علمت أنه لا يستحقْ

وأنه أفنى وأشقى مفسدًا نورَ الوجودْ

ذقِ العذابَ السرمديَّ بائسًا بما جنيْتْ

من يدركُ الأرضَ وينقذُ الحياةْ

من يوقف الإنسان منْ..

والرد صمت يائس

يرتد في النفس صدى

همٌّ وغمّْ

****

كانت لنا الآمال نهرا زاخرا

آمالنا صارت ظلاما قاتلا

الشمس في حضن اللصوص الغاصبين

والأرض في ...

كانت لنا ...

أضحت خرابا ضائعا

صارت لهم..

عاد التتار والمجوس أين جيش الماجدين

عذرا فلا تجدي حروفي الثائرة

هل ينفع الحرف بلادا خائرة

هل يدفع الشعر ذئابا جائرة

يا أرضُ أنت السنبلة

كوني كما كنت سنا

إن الرماد لم يزل فيه دخان

والنرجس الحزين شبّ بعد موت نركسوسْ

وفي البلاد ألف ألف جمرة وألف ألف نبضة

والنخل ظل واقفا لا ينحني

لا ينكسر..

وكل يوم ترتمي عشار في أرض العراق

وكل يوم ينهض الثوار في أرض اليمن

فالمارد الثوري تخشاه الجيوش الظافرة

المارد الثوري سيف لا يَفَلْ

صبر ثبات في كفاح لا يمل

لو قام لاهتزت عروش حالمة

فهل يقوم

يراد للثوري أن يبقى غريقا معدما

متى يقوم

فالقدس تشكو بعده

ومصر ترجوه يقوم

مصر العريقة الحديثة العصور الزاهرة

مصر الحضور والغياب

مصر حضور لا غياب

حط زفيروس بها رحالهُ

ما أعذب النسيم وارتجالهُ

قديمة كالخمر فيها نشوةٌ

جديدة كالبكر فيها عفةٌ

فتية كالخيل لا تهوى الرقودْ

فهل تعود

تغتال فيها كل أيدٍ طاهرة

أحلام جيل وئدت

أزهار حب سحقت

والشمس فيها سجنت

كيف الشروق

****

والقدس في بحر العذاب تندب الحظ التعيس

والسيكلوبس حولها لا يرحمون

قد مات انكيدو العظيم

أوديس خر باكيا

لا تنتظر

فالسيكلوبس يضحكون

والقدس تبكي عاليا

قدسيتي عذريتي طهري المصون

العز في أرضي وفي سقفي الهدى

بالقدس روح العربيِّ حرةٌ

خطى الكماة ثورةٌ

وفي التراب حُمرةٌ وفي السماء خُضرةٌ

والقِدْرُ لا زالت تفورْ

القدس عرشٌ لا يغيب

الحاضرُ الماضي السحيقُ والسموُّ والجلالُ والسلام

تفرعُ التاريخِ والمستقبلُ الثأرُ المقدسُ الحضارةُ العروبةُ افتداءُ الثائرينْ

الأملُ البنفسجيُّ الألمُ الممتدُّ في أعماقِ زيتونٍ يصبُّ الدمعَ زيتًا كل حين لا يلين

ديوانُ أحداثِ الزمانِ العَبَثَيْ

دمُ المحاربين أبناءِ الترابِ القُدُسِي

ما ذنبُ يوسفَ العزيزْ

غيرُ الجمالِ والعلا والقربِ من عرش السماء

لا زال ذو النون ينام تحت يقطين النجاة

أين النجاة

سقراط يحسو سمه يلفه أنصاره يعاينون موته لا يهمسون

والموت لم يهمّه في كفه كأس المنون

فهْو النجاة

إن المسيح لم يعد

ألف يهوذا في العشاء يسرق الأسرار من فم المسيح

لكنه لا ينتهي عن مكره

ولا يريد قتل نفسه التي عذبها سيف الضمير

للثائرين المقصلة

والقصر بيت الخونة

كيف النجاة

*****

إليوت في أرض الضياع لم يضعْ

نحن الضياعْ

الأرض لم تأمن شعاع النور لا زال الظلامُ يختفي خلف الضياءْ

إن الضياءَ جاهل بما يدور حولهُ

لا يعلم الظلَّ الذي له يدٌ على الظلامْ

له يدٌ

في قتل سقراطَ وفي صلب المسيحْ

وفي هلاك الأنبياءْ

وفي عذاب العاشقين

وفي عيون الحاسدين

لكنما سيزيف يسحق اصطلاح اليأس من قاموسه لا يستكين

زيوس يحتل الجبل

أورانس المنفي لم يعد الإله

هل يستكين

فلا ثباتَ لا ثباتْ

محمدٌ في الغار فارجعْ يا سراقُ وانتظرْ

لكَ السوارْ

لم يحترق بالنار إبراهيمُ، في النار السلامْ

في السلم نارْ

هناك شيء خارقٌ

والدهر دوما يستحيلْ

فلا ثباتَ لا ثباتْ

أوديس يقدح الشرر

تهتز أوراق الشجر

والقلبُ لا زال على فأل الحضور

والفأل سهم نافذ

يرتد في النفس صدى

نعم نعم

***

يوسف حسن حجازي

١٧ يوليو ٢٠١٩